فيضانات نهري دجلة والفرات وأثرها على الحياة العامة في العراق خلال العصر العباسي (132هـ – 656 هـ) دراسة تاريخية

(The Floods of the Tigris and Euphrates Rivers and the Impact on Public Life in Iraq during the Abbasid Period (132H-656H) Historical Study

خالد بن خضير بن عليان الحربي [1]

إشراف

الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم العمير [2]

ملخص

تُعدُّ الفيضانات من الكوارث الطبيعية التي تصيب البلدان التي تجري فيها أنهار كبيرة منذ الأزمنة القديمة وظلت تؤثر فيها إلى يومنا هذا. والعراق يعد إحدى تلك الدول التي تضررت كثيراً بسبب فيضانات نهري دجلة والفرات، خاصةً في عصر الخلافة العباسية. ومن خلال البحث والتتبع لفيضانات النهرين خلال العصر العباسي وجد الباحث أنها تبلغ عدد كبيراً، وقد ترتب على الكثير منها تأثيراتٌ عديدة على الحياة العامة، ومن هنا ظهرت الحاجة الملحة لدراسةٍ مستقلة للفيضانات التي وقعت لنهري دجلة والفرات في هذا العصر تقوم بتتبع هذه الفيضانات، والأحداث التي ترتبت عليها، وتأثيرها على الحياة العامة بشكلٍ عام.

وتحقيقاً لذلك قام الباحث بتتبع فيضانات نهري دجلة والفرات التي ذكرها

(1) باحث ماجستير - جامعة القصيم - كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

(2) أستاذ الآثار الإسلامية المشارك بقسم التاريخ - جامعة القصيم - كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

المؤرخون خلال فترة الخلافة العباسية بعصريها الأول، والثاني، وجهود الدولة في مواجهة هذه الفيضانات، والوقوف على تأثيراتها على الجوانب الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية والسياسية.

ومن خلال تلك الدراسة خلص البحث إلى أن العراق قد تعرضت إلى عدد كبير من الفيضانات، ولكن المؤرخين لا يذكرون كل ما يقع من هذه الفيضانات، وإنما يشيرون إلى أشهرها بناءً على ما تُخلفه من آثار وأضرار؛ ففي العصر العباسي الأول وقف الباحث على ستة فيضانات لنهري دجلة والفرات، وفي العصر العباسي الثاني وقف الباحث على (49) فيضاناً للنهرين، وقد بذلت الدولة الجهود لمواجهة هذه الفيضانات، وقد ترتب على هذه الفيضانات تأثيراتٌ عديدة على الحياة العامة في العصر العباسي؛ فقد هلك الناس، وتهدمت الدور والمنازل، وتأثر النشاط الزراعي والصناعي بشكلٍ كبير، نتيجة لغرق الأراضي الزراعية، وتلف المحاصيل، وارتفعت نتيجةً لذلك أسعار السلع، وأنواع الطعام المختلفة، واضطربت الدولة وإدارتها، وغير ذلك من الآثار المختلفة.

Summar

Floods are natural disasters that strike countries where large rivers flow since ancient times and have been affecting them to this day. Iraq is one of those countries that were greatly affected by the floods of the Tigris and Euphrates rivers, especially in the era of the Abbasid Caliphate. Through surveying and tracking of the floods of the two rivers during the Abbasid era, the researcher found that they flooded frequently and many of them have resulted in many effects on public life. Hence the urgent need to conduct an independent study of the floods that occurred to the Tigris and Euphrates rivers in this era to track these floods and the events that resulted from them and their effect on life in general.

For this, the researcher tracked the floods of the Tigris and Euphrates rivers mentioned by historians during the Abbasid Caliphate period in its first and second eras, and he highlighted the country's efforts to confront these floods, and to identify their effects on the economic, urban, social and political aspects.

Through this study, the research concluded that Iraq has been hit by a large number of floods, but historians did not mention all of these floods that occurred, as they referred only to the most famous based on the effects and damages they caused. In the first Abbasid era the researcher observed six floods for the Tigris and Euphrates rivers, while he observed (Forty-nine) floods of the two rivers in the second Abbasid era, so the country has made efforts to confront these floods.

These floods have resulted in many effects on public life in the Abbasid era, as people perished, houses and buildings were destroyed, agricultural and industrial activities were greatly affected as a result of the sinking of agricultural land and crop damage which led to increase in the prices of commodities and all food kinds and the country and its administration were in turmoil, and other various effects were occured.

Journal of the Higher Institute for Specific Studies - Giza
مجلة المعهد العالي للدراسات النوعية - الجيزة
تأسس المعهد عام ١٩٩٥

المقدمة:

تُعدُّ الفيضانات من الكوارث الطبيعية التي تصيب البلدان التي تجري فيها أنهار كبيرة منذ الأزمنة القديمة وظلت تؤثر فيها إلى يومنا هذا.

والعراق يعد إحدى تلك الدول التي تضررت كثيراً بسبب فيضان نهري دجلة والفرات، خاصةً في عصر الخلافة العباسية، وقد أثَّرت هذه الفيضانات على الحياة العامة فيها.

والكوارث الطبيعية بصفة عامة، والفيضانات بصفة خاصة تُظهر بصورةٍ واضحة العلاقة المتلاحمة بين التاريخ والجغرافيا، فكم كانت الكوارث الطبيعية سبباً في وقوع كثيرٍ من الحوادث الكبيرة التي سجلها التاريخ. ولعلَّ دراسة موضوع فيضانات دجلة والفرات وأثرها على الحياة العامة في العصر العباسي يكون إضافة جيدة في التأكيد على العلاقة المترابطة بين علمي التاريخ والجغرافيا.

ومن خلال البحث والتتبع للفيضانات التي وقعت لنهري دجلة والفرات خلال العصر العباسي وجد الباحث أنها تزيد عن ثلاثين فيضاناً، وقد ترتب على الكثير منها تأثيراتٌ عديدة على الحياة العامة في العصر العباسي؛ فقد ترتب عليها الكثير من الوفيات، وتهدمت الدور والمنازل، وهجَّرت السكان، وتأثر النشاط الزراعي والصناعي بشكلٍ كبير، نتيجة لغرق الأراضي الزراعية، وتلف المحاصيل، وارتفعت نتيجةً لذلك أسعار السلع، وأنواع الطعام المختلفة، وغير ذلك من الآثار المتنوعة.

ومن هنا تظهر الحاجة الملحة لدراسةٍ مستقلة للفيضانات التي وقعت لنهري دجلة والفرات في هذا العصر تقوم بتتبع هذه الفيضانات، والأحداث التي ترتبت عليها، وتأثيرها على الحياة العامة بشكلٍ عام.

المبحث الأول

أثر الفيضانات على الجوانب العمرانية.

بلغت العراق في الجانب العمراني، مبلغاً لم تبلغه بلداً غيرها في زمانها، وخاصة بغداد عاصمة الخافة التي صارت مضرب المثل في بنائها، مما جعلها من عجائب الدنيا في عمارتها، حتى إن الحموي وصفها بأنها:" أم الدنيا وسيدة البلاد"[1].

ويكفي للتدليل على ما بذُل في عمارة بغداد أن نعلم أن المنصور قد أنفق في عمارة بغداد ثمانية عشر ألف ألف دينار، وقيل: إنه أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والأبواب والأسواق إلى أن فرغ من بنائها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثمانين ألف درهم[2].

وقد أثرت فيضانات دجلة والفرات على الجانب العمراني لبغداد تأثيراً كبيراً، ويتوقف حجم هذا التأثير على قوة الفيضان، واستمراره، وقد تمثل أثره على الجانب العمراني فيما يأتي:

- **أولاً–تهدُّم الدور والمنازل:**

من أكبر آثار الفيضانات على الجانب العمراني تسببها في تهدّم الدور والمنازل، ويصل الأمر في الفيضانات الكبيرة إلى تدمير مناطق وأحياء كاملة، وقد وقع هدم الدور والمنازل بسبب الفيضانات في أكثرها.

---

[1] الحموي، معجم البلدان، ج1، ص456.

[2] المصدر السابق، (459/1)

ففي فيضان نهر دجلة سنة (205هـ) تهدمت بسببه المنازل ببغداد، وكثر الخراب بها[1]. وفي فيضان نهر الفرات سنة (270هـ-884م)، تهدم بسببه نحو سبعة آلاف دار[2]. وفي فيضان نهر دجلة سنة (292هـ-906م) تهدمت الدور التي على شاطئ دجلة بالعراق"[3]. وفي فيضان نهري دجلة والفرات سنة (328هـ -940م) تهدُّم بسببه منازل وشوارع وأحياء كاملة؛ فقد دخل الماء إلى الشوارع في الجانب الغربي من بغداد، فغرق شارع الأنبار، فلم يبق فيه منزل، وتساقطت الدور والأبنية، وغرقت القرى[4]. وفي فيضان نهري دجلة والفرات سنة (329هـ-941م): غرقت مدينة (بادوريا)، وتهدمت منازلها، وغرقت قرى الأنبار[5].

وفي فيضان نهر دجلة سنة (337هـ -949م) تهدمت الضياع والدور التي على شاطئ دجلة، وقارب الجانب الشرقي من بغداد على الغرق "[6]. وفي فيضان نهر دجلة سنة (367هـ -978م): بلغت زيادة دجلة إحدى وعشرين ذراعا، فتكسرت السدود في الجانب الشرقي من بغداد فغرقت الدور والشوارع [7].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص516.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص667، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص255.

(3) الكامل، ج6، ص545، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص864.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص382، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص429، وابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص115.

(5) ابن مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج6، ص39، وابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص403، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص639.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص72، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج17، ص267. وابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص197 .

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص253.

وفي **فيضان** دجلة سنة (466هـ-1073م) نقف على مشاهد مروعة لتهدم الأحياء والشوارع، والدور؛ فقد وقعت جميع الدور والمنازل التي من جانب بغداد الشرقي، وقد قدرت بما يزيد عن مائة ألف دار، وطغى الماء على أسوار المحال فهدمها، ونزل من فوقها وأسفل منها، وصعد من تحت الأرض، وقلع الطوابيق، ونبع من الآبار والبلاليع، ووقعت بعض الدور على بعض، فصارت تلالًا عالية، حتى دار الخلافة لم تنجُ من الفيضان؛ فقد فعل بها أكثر مما فعل بغيرها من الهدم والتدمير. ودخل الماء من باب يسمى باب المراتب في الجانب الغربي من بغداد، فهدم من دوره داراً كبيرة تسمى (دار ابن جردة) وكانت تشتمل على ثلاثين دارا، وعلى بستان، وحمام يساوي عشرات الألوف من الدراهم، ووصفت بغداد بأنها صارت كالصحراء الخاوية من غير بناء، فإنا لله وإنا إليه راجعون [1].

وبلغت آثار الفيضانات على الدور والمنازل أن الناس قد لا يعرفون آثار بيوتهم ولا موقعها من شدة تهدم البيوت فوقها فوق بعض، فهناك أحياء صارت فضاءً لا معْلم فيها يدل على شيء منها كما قوع في فيضان سنة (554هـ -1159م) فيذكر ابن الجوزي عن آثاره-وهو معاصرٌ لهذا الفيضان- أن الماء قد رمى الدور فخرب قراح ظفر والمختارة والمقتدية ودرب القيار [2] ثم يذكر أنه وأهله قد أتوا إلى دارهم بدرب

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص155، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص278.

[2] هذه الأربعة كلها أسماء قرى وأحياء كانت في بغداد. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص61، ج5، ص71، ج4، ص315، ج4، ص419.

القيار بعد أيام، والدنيا كأنها بطيحة فلم يعرفوا درب القيار إلا بمنارة المسجد، وكان الماء يقرب من الحائط فيقع وكان كأنه سخط من الله عز وجل لكثرة الذنوب"[1].

وفي فيضان دجلة والفرات سنة (569هـ) اجتمع ماء الفيضان مع ماء المطر الغزير فوصل الماء إلى قرية الحظيرة من أعمال بغداد فتهدمت الدور، ووصل الماء إلى (رباط أبي سعد الصوفي)[2] فهدمت فيه مواضع، وإلى (درب السلسلة)[3]، فتهدمت منه مواضع ، ونبع الماء من (البدرية)[4] – أحد دور الخلافة– فهلكت كلها وغلقت أبوابها، ونبع في (دار البساسيري)[5]، (ودرب الشعير)[6] من البلاليع وانهدمت دور كثيرة

---

[1] تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ص68. وابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص209.

[2] رباط أبي سعد الصوفي، كان رباطاً على نهر المعلى–أحد الأنهار الفرعية التي حفرت في بغداد يُنسب إلى المعلّى بن طريف مولى المهدي وكان من كبار قوّاد الرشيد –بناه أبو سعد الصوفي، النيسابوري، وبنى وقوفه؛ فنُسب إليه، وقد توفي أبو سعد الصوفي هذا سنة (479هـ). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص314.

[3] درب السلسلة؛ أحد الدروب التي كانت ببغداد، وكان قريباً من المدرسة النظامية. ابن الأثير، الكامل، ج8، ص617.

[4] البدرية؛ أحد دور الخلافة العباسية، منسوبة إلى بدر غلام المعتضد بالله، وكانت من أحسن دور الخلفاء، وكان ينزلها الراضي بالله، ثم تهدمت وصارت تلا، فأمر القادر بالله أن يسور عليها سور، لأنها مع الدار الإمامية، ففعل ذلك، فلما كانت سنة (514هـ) أمر المستظهر بالله ببيعها، فبيعت، وعمرها الناس. ابن الأثير، الكامل، ج8، ص611.

[5] دار البساسيري؛ قرية من قرى بغداد كانت من ناحية باب الأزج. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص412.

[6] درب الشعير؛ أحد الدروب في غرب بغداد. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص351.

حتى أنه نفذ إلى المواضع البعيدة فوقعت آدر في (المأمونية)[1] وصعد الماء إلى (الحريم الطاهري)[2] بالجانب الغربي فوقعت دوره، وأسكرت (الحربية)[3] و(المشهد)[4]، ووقع أكثر سور المشهد، ونبع الماء من داخله الماء فرمى الدور والترب ووقعت آدر بالحربية، وامتلأ الماء من دجلة إلى سور (دار القز)[5]، ووصل الماء من الصراة إلى باب الكرخ، وكان الناس قد وطئوا التلال العالية وهلكت قرى كثيرة، ثم بعد ذلك عمَّ الماء (السبتي)[6] و(الخيزرانية)[7] وعسكر أهل أبي حنيفة فجاءهم الماء من خلف القرية وجامع المهدي فوقعت فيه أذرع ونبع الماء من دار الخليفة من مواضع وهدم فيها دور

---

[1] المأمونية؛ قرية كبيرة من قرى بغداد بين نهر المعلى وباب الأزج منسوبة إلى المأمون أمير المؤمنين عبد الله بن هارون الرشيد. الحموي، معجم البلدان، ج55، ص44.

[2] الحريم الطاهري؛ أحد الأحياء أعلى مدينة بغداد في الجانب الغربي، منسوب إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق، وبه كانت منازلهم، وكان من لجأ إليه أمن، فلذلك سمّي الحريم، وأول من جعله حريما عبد الله بن طاهر بن حسين، وكان عظيما في دولة بني العباس. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص251.

[3] الحربية؛ قرية كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافي وأحمد بن حنبل وغيرهما، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ويعرف بالراوندي أحد قوّاد أبي جعفر المنصور، وكان يتولى شرطة بغداد. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص237.

[4] المشهد؛ المقصود بها القبر المنسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما والذي يعظمه الشيعة ويسمونه (مشهد الحسين عليه السلام) وهو بمنطقة كانت تُسمى (الحائر) وهي كربلاء. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص208.

[5] دار القز؛ قرية كبير من قرى بغداد كانت في طرف الصحراء. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص422.

[6] السبتي؛ مقبرة من مقابر بغداد. ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص9.

[7] الخيزرانية؛ مقبرة من مقابر بغداد. ابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص76.

كثيرة وملأ السراديب، ثم زادت الفرات زيادة كثيرة وفاضت على سكر عندها يقال له (سكر قنين) وجاء الماء فأهلك من القرى والمزارع [1].

ولم يقتصر ضرر هذا الفيضان على المباني العمرانية في بغداد فقط، بل كان الأمر في مدينة الموصل أشد، فقد اجتمعت مياه الفيضان مع مياه الأمطار المستمرة التي لم تنقطع لمدة أربعة أشهر، فتهدمت من المنازل نحو ألفي دار، وكان أهالي مدينة الموصل يهدمون الدار إذا خيف وقوعها فهدموا أكثر مما هدمت المياه، وكانت الدار تقع على ساكنيها فيهلكون[2].

وفي فيضان سنة (654 هـ-1256م) غرقت بغداد غرقاً وُصِف بالشنيع، فقد أحاط الماء ببغداد فغرق الجانبين منها، وهدم دوراً كثيرة، وخرج الماء من حيطان الدور والمنافذ والآبار والبلاليع، وامتلأت دور الخليفة كلها ما عدا (الدار الشاطئية) فانتقل مَن بها إلى الغرف والسطوح، وتعذر الوصول إلى دار الخليفة إلا في سفينة أو سباحة، وخلت كل مناطق بغداد من ساكنيها فصارت بغداد عبرة وعظة[3]. وانهدمت بسبب هذا الفيضان دار الوزير، وثلاثمائة وثمانون دارا "[4]

وقد يكون أثر الفيضان أخف من وقوع المنازل وهدمها وإنما يُحيط بها ويدخلها دون أن تتهدّم

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص205-ص207

[2] المصدر السابق، ج18، ص207.

[3] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص317.

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص660، وابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص334، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص46.

كما وقع فيضان نهري دجلة والفرات سنة (330هـ-942م) [1]، وفيضان دجلة سنة (401هـ-1011م)[2].

وهذا إحصاء يبين عدد الدور التي تهدمت في كل فيضان مما نُصَّ فيه على عدد الدور التي تهدمّت:

م	الفيضان	عدد الدور المنازل التي تهدمت
1	فيضان نهر الفرات سنة (270هـ-884هـ).	سبع آلاف دار[3]
2	فيضان نهر دجلة سنة (426هـ -1035م)	نحو ألفي دار[4]
3	فيضان نهر دجلة سنة (466هـ-1073م).	مئة ألف دار[5]
4	فيضان دجلة والفرات سنة (569هـ-1174م):	ألفي دار[6]
5	فيضان نهر دجلة سنة (654 هـ-1256م)	دار الوزير وثلاثمائة وثلاثون داراً[1]

(1) المنتظم، ج14، ص19.

(2) المنتظم، ج15، 77

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص667، وسبط ابن الجوزي مرآة الزمان ج16، ص73، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص255.

(4) المنتظم، ج15، ص246، وابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص653.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص207، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص278، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص147.

(6) تاريخ الإسلام، ج12، ص232. البداية والنهاية، ج16، ص470.

- **ثانياً-أثره على المساجد والجوامع:**

لم تسلم المساجد والجوامع من أثر الفيضانات عليها؛ فتسببت في هدم المساجد، ودخلت الماء فيها؛ فمن ذلك ما وقع في فيضان نهر دجلة سنة (401هـ-1011م) حيث فاض الماء على مسجد الكف بقطيعة الدقيق[2] فخربه واحتمل أجذعه وسقوفه [3]. وفي فيضان نهر دجلة سنة (466هـ) وقعت الجوامع والمساجد، وكان الماء في الجامع قامة"[4]. وفي فيضان نهري دجلة والفرات سنة (569هـ) سقطت بسببه أجزاء جامع المهدي، وفي فيضان دجلة والفرات سنة (654هـ) سقطت نصف مسنة مسجد قمرية، فُعمل له سكر من خشب [5].

- **ثالثاً-أثره على المستشفيات:**

عرفت الدولة العباسية بناء المستشفيات، في كل المدن الكبيرة، وتعددت هذه المستشفيات وكثرت؛ فقد اتخذ عَلي بن عيسى6 المارستان غربي بغداد، وأنفق عليه من

---

(1) الذهبي تاريخ الإسلام، ج14، ص660، وابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص334.

2 قطيعة دقيق؛ كانت ببغداد، إليها ينسب القطيعى راوي مسند الإمام أحمد رحمه الله، وقيل هي نفسها قطيعة أم جعفر. ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، ص1109.

(3) المنتظم، ج15، 77

(4) مرآة الزمان، ج19، ص279.

(5) الحوادث الجامعة، ص318.

6 على بْن عيسى بْن داود بْن الجراح أَبُو الحسن وزير المقتدر بالله والقاهر بالله، كان صدوقا دينا فاضلا عفيفا فِي ولايته، محمودا فِي وزارته، كان كثير البر والمعروف، وقراءة القرآن، والصلاة والصيام، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم، وأصله من الفرس. توفي سنة (334هـ). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13، ص459.

ماله سنة (302هـ)1، وكان عضد الدولة البويهي(2) قد استحدث المارستان3، وقد أُطلق عليه (المارستان العضدي) وافتتحه سنة (372هـ) ورتب فيه الأطباء، والمعالجون، والخزان، والبوابون، والوكلاء، والناظرون، ونقلت إليه الأدوية، والأشربة، والفرش، والآلات، وجلب إليه العقاقير التي لا توجد إلا فيه، وأوقف عليه ضِياعًا كثيرة(4).

ولم تسلم هذه المستشفيات من آثار الفيضانات عليها؛ فقد تهدّم المارستان العضدي في فيضان دجلة سنة (466هـ) حيث دخل الماء من شبابيكه فهدمه(5). ويصف ابن الجوزي دخول الماء إلى أحد مستشفيات بغداد، ويعدد أثره على المرضى والعاملين بهذه المستشفى، ومدى المعاناة التي عانوا منها على إثر فيضان دجلة سنة (569هـ): " ودخل الماء إلى المارستان وعلا فيه ورمى عدة شبابيك من شبابيكه الحديد، فكانت السفن تدخل من الشبابيك إلى أرض المارستان ولم يبق فيه من يقوم بمصلحته إلا المشرف على الحوائج. أفحكي أنه جمع أقطاعا من الساج فشهدها كالطوق وترك عليها

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص151.

[2] هو عضد الدولة البويهي، فناخسرو بن حسن بن بويه الديلمي، تملك بفارس بعد عمه عماد الدولة، ثم كثرت بلاده، واتسعت ممالكه، وقصد العراق، والتقى ابن عمه عز الدولة وقتله، وتملك، ودانت له الأمم. مات بعلة الصرع سنة (372هـ) وكان شيعيا جلدا أظهر بالنجف قبرا زعم أنه قبر الإمام علي، وبنى عليه المشهد، وأقام شعار الرفض، ومأتم عاشوراء، والاعتزال. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص249.

[3] المارستان–بفتح الراء، دار المرضى، وهو معرب، وهو مرادف للمستشفى أو المصحة. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص217، وأحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ص2060.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص289، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج17، ص554.

[5] المرجع السابق، ج19، ص279.

ما يحتاج من الطعام والشراب حتى الزيت والمقدحة ورقي المرضى إلى السطح وبعث بالمرورين إلى سقاية الراضي بجامع المنصور"(1).

- **رابعاً–تهدُّم الجسور والأسوار:**

وقع تهدّم الجسور في كثير من الفيضانات، كالذي حدث في فيضان نهر دجلة سنة (215هـ–831م) حيث تقطعت بسببه الجسور بمدينة بغداد [2].وكالذي وقع في فيضان النهرين سنة (316هـ –928م) [3]. وفي فيضان نهري دجلة والفرات سنة (328هـ –940م) أيضاً[4].وفي فيضان نهر دجلة سنة (431هـ–1040م) حملت مياه الفيضان الجسر، ومَن كان عليه قطعة واحدة [5].

وفي فيضان نهر دجلة سنة (466هـ) جاء الماء على مدينة الموصل كالجبال، فلطم سور سنجار وكان حجرا فهدمه قطعة منه، ودحا بأحد بابيه أربعة فراسخ[6]. وفي هذا الفيضان أيضاً انهدم بسببه سور بغداد[7].

كما كان للفيضانات ضرر كبير على بعض المباني **ذات** البعد الحضاري والتاريخي؛ فمن المباني الحضارية التي كانت بالعراق (القنطرة العتيقة) التي كانت تقع على نهر الصُّراة، وهو النهر الذي يتفرع من نهر عيسى، وقد سميت بالعتيقة؛ لأنها

---

(1) المنتظم، ج18، ص205.

(2) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، كتاب بغداد، ص143.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص273.

(4) المصدر السابق، ج13، ص382.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص273، وابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص679.

6 المنتظم، ج16، ص155.

7 سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص278.

ترجع إلى حكم الفرس على العراق، وهناك أيضاً قنطرة كانت تُسمى (القنطرة الجديدة) وكانت على نهر الصُّراة أيضاً، وقد بُنيت في زمن الخليفة المنصور، وسُميت بذلك لتمييزها عن القنطرة العتيقة[1].

وقد سقطت هاتان القنطرتان بسبب الفيضانات، وقد مرّ سقوطهما بثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: سقوط أجزاء من هاتين القنطرتين، وكان ذلك في فيضان نهري دجلة والفرات سنة (328هـ -940م)[2].
- المرحلة الثانية: سقوط القنطرة الجديدة، وأجزاء من القنطرة العتيقة، وكان ذلك في فيضان دجلة والفرات سنة (329هـ-941م)[3].
- المرحلة الثالثة: سقوطهما مرة أخرى نتيجة لفيضان دجلة والفرات سنة (370هـ-980م)

قال ابن الجوزي يحكي عن آثاره:" وسقطت قناطر الصراة فوقعت الجديدة في نصف ذي القعدة، ووقعت العتيقة بعدها وكان يوم الأربعاء ثم وقع الشروع في عمل القنطرتين، فأنفق عليهما المال الكثير، وبنيتا البناء الوثيق"(4).

---

(1) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص620، وابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص68، وسوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، ج1، ص292

(2) المنتظم، ج13، ص382.

(3) المنتظم، ج13، ص403.

(4) المنتظم، ج14، ص277.

- **خامساً-انهيار السدود:**

تقدّم فيما مضى أن خلفاء بني العباس كانوا يجتهدون في بناء السدود على الأنهار كوسيلة من وسائل حماية أرض العراق من أخطار الفيضانات، ولكن مع اشتداد فيضان هذه الأنهار تسقط هذه السدود وتتصدع، والمؤرخون يعبرون عن انهيار السدود بالبثق، ويعنون بذلك انكسار سد النهر، ويكون لتهدم هذه السدود الأثر الأكبر في غرق الأحياء والشوارع وتهدم المنازل[1].

ويُلاحظ هذا في كثير من الفيضانات، فمن ذلك: ما وقع في فيضان نهر الفرات سنة (270هـ-884هـ)[2]، وما وقع في فيضان دجلة والفرات سنة (329هـ-941م) "[3]. ومنها أيضا ما حدث في فيضان نهر الفرات سنة (332هـ-944)[4]. وفيضان نهر دجلة سنة (367هـ -978م) [5]. وفي فيضان نهر دجلة سنة (461هـ -1069م) "[6].

ولابد من التأكيد على أن الناس يجتهدون في سد انكسار هذه السدود لكن الأمر كما وصفه الذهبي في حديث عن آثار فيضان نهر دجلة والفرات سنة (569هـ-1174م):" كلما سدح آخر غيره. ..."[7].

---

[1] انظر: عبد العال، طه حسين، الكوارث الطبيعية في العراق وفارس، ص213.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص667، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص255.

[3] مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج6، ص39، وابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص403.

[4] الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص278.

[5] المنتظم، ج14، ص253.

[6] المنتظم، ج16، ص113.

[7] تاريخ الإسلام، ج12، ص232.

- **سابعا–الإضرار بالمدارس ودور العلم:**

عرفت الدولة العباسية بناء المداس العلمية، وبدأ انتشار هذه المدارس في القرن الخامس الهجري مع نفوذ السلاجقة على العراق، وكان أشهرها المدرسة النظامية التي أنشأها نظام الملك1، وافتتحت للتدريس فيها سنة (459هـ)2 ويكفي للتدليل على انتشار هذه المدارس أن نعلم أن ابن جبير في رحلته قد ذكر أن في بغداد وحدها نحواً من ثلاثين مدرسة كلها في الجانب الشرقي من نهر دجلة3.

وكغيرها من المباني العمرانية لم تسلم هذه المدارس من آثار الفيضانات عليها ففي فيضان نهري دجلة والفرات سنة (569هـ) دخل نزيز الماء من الحيطان فملأ المدرسة النظامية والمدرسة التتشية4 ومدرسة أبي النجيب5 (1).وفي فيضان سنة (646هـ –

---

[1] الوزير الكبير، نظام الملك، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي. نشأ في بيهق، وتعاني الكتابة والديوان، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن وزر للسلطان ألب أرسلان، ثم لابنه ملكشاه، فدبر ممالكه على أتم ما ينبغي، وخفف المظالم، ورفق بالرعايا، وبنى الوقوف، واستمر عشرين سنة. أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد المشهورة بالمدرسة النظامية، وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس، ورغَّب في العلم، وأدر على الطلبة الصلات، وأملى الحديث، وبعد صيته. كان مقتله سنة (485هـ). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص94.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص212.

[3] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص183.

[4] التتشية؛ إحدى المدارس العلمية التي كانت ببغداد، خاصة بفقهاء الحنفية، أنشأها خادم يقال له خمارتكين كان للملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان بن داود ابن سلجوق، فكأن خمارتكين هذا نسبها إلى سيده تتش بن ألب أرسلان. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص15.

[5] مدرسة أبي النجيب؛ نسبة إلى أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه السُّهْرَوَرْدِيّ، الفقيه الشافعي الصوفي، كان له مكان على نهر دجلة فبنى فيها رباطاً له، وأسس بجواره هذه المدرسة فنُسبت إليه، وقد أسكنها الفقهاء والمتصوفة. ابن المستوفي الإربلي، المبارك بن أحمد،

1249م) نبع الماء من أساس المدرسة المستنصرية2، وبقي الماء في المدرسة النظامية ستة أذرع(3).

Journal of the Higher Institute for Specific Studies - Giza مجلة المعهد العالي للدراسات النوعية - الجيزة تأسس المعهد عام ١٩٩٥

تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ط1، 1980م، ج1، ص107.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص205.

2 المدرسة المستنصرية؛ بناها الخليفة المستنصر بالله سنة (631هـ) على شط دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة، قيل إنه لم يبن على وجه الأرض مدرسة أحسن منها، ولا أكثر وقفا. وجعل فيها أربعة مدرسين على المذاهب الأربعة. ابن واصل، محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الكتب والوثائق القومية –المطبعة الأميرية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط1، 1377هـ، ج5، ص316.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص361.

المبحث الثاني

أثر الفيضانات على الجوانب الاجتماعية

كان المجتمع في العراق في عصر بني العباس يتكون من مزيج من طوائف مختلفة لكل طائفة منهم عاداتهم ولغاتهم وطباعهم وثقافتهم؛ وكانت العرب على رأس هذه الطوائف؛ فخلفاء بني العباس منهم، كما هناك الفرس الذين كان لهم نفوذ كبيرة في عصر بني العباس خاصة في عصر المأمون، ثم كان هناك الترك الذين كان لهم الكلمة العليا في البلاد في عصر المعتصم، ووجد كذلك النبط والآراميون[1] والأكراد، كما كان في العراق عدة مجموعات يهودية وخاصة في بغداد[(2)].

ولم يكن هؤلاء السكان جميعاً في طبقة واحدة، بل كانوا طبقات بحسب أعمالهم ووظائفهم ونفوذهم، وتأثروا بالتقلبات السياسية التي مرت بها الدولة، وكل هؤلاء السكان تأثروا بنتائج فيضانات دجلة والفرات، ولم يسلم من ذلك أحد، حتى الطبقات العليا كالخلفاء والوزراء، ومَن على شاكلتهم.

وقد ظهرت آثار الفيضانات عليهم وفق الجوانب الآتية:

- **<u>أولاً–هروب المواطنين خوفاً من مياه الفيضان:</u>**

من أبرز آثار فيضانات دجلة والفرات على السكان حالة الهلع التي تنتابهم خوفاً من الغرق، وتهدّم المنازل عليهم، حتى إنهم يتركون بيوتهم، خشية أن تتهدم عليهم، ولم

---

[1] يُستعمل لفظ النبط للإشارة إلى الفلاحين الذين يتكلمون الآرامية في العراق وخاصة في منطقة البطيحة، وقد أوضح ابن الكلبي أن العرب كانوا يطلقون لفظ النبط على سكان العراق الذين لم يكونوا رعاة ولا جنوداً. الدوري، التاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع، ص37.

[(2)] عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع، ص32.

يسلم من ذلك أحدٌ حتى أُسرة الخليفة نفسها تركت القصور، وركبت السفن. ففي فيضان نهر دجلة سنة (186هـ -802م) نزل الرشيد بأَهله وحرمه وأَمواله إلى السفن، وتركوا القصور خوفاً من آثار الفيضان عليهم[1].

وفي فيضان نهر دجلة سنة (337هـ -949م) هرب الناس من الجانب الشرقي من بغداد فراراً من مياه الفيضان[2]، وفي فيضان نهر دجلة سنة (367هـ -978م) تناهت زيادة دجلة حتى انتهت إلى إحدى وعشرين ذراعا، فخرج سكان الدور الواقعة على نهر دجلة منها، وأنقم الناس نفوسهم خوفًا من غرق البلد كله[3].

وفي فيضان دجلة سنة (466هـ-1073م) أصبحت بسببه دار الخليفة وبغداد تلالًا، وخرج الماء من تحت سرير الخليفة، فنهض إلى الباب فلم يجد طريقًا، فحملته الخُدَّام على ظهورهم إلى دار (التاج) [4] ، وخرج جواريُّ الخليفة حاسرات، والخدم يعتلي وجوههم الهلع والفزع، وعَبَرْنَ إلى الجانب الغربي من بغداد، والخدم أيضًا، ولم يبقَ عند الخليفة إلا نفرٌ يسير، ولما دخل على الخليفة وزيره يستأذنه فيما يفعل ، فقيل له أن يطلب النجاة لنفسه فهرب إلى مكان آمن بعيدا عن مياه الفيضان، ومن شدة الهلع والخوف جاء للوزير أحد الخدم ومعه حفيده يستشيره ما يفعل به، فأمره أن يحتفظ به إن أمكنه حفظه، وأما عوام الناس فقد هربوا إلى الجانب الغربي، وإلى تلال الصحراء

---

[1] ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، ص32.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص72، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج17، ص267.

[3] المنتظم، ج14، ص253.

[4] التاج؛ اسم لدار مشهورة جليلة المقدار واسعة الأقطار ببغداد من دور الخلافة المعظمة، كان أول من وضع أساسه وسماه بهذه التسمية المعتضد، ولم يتم في أيامه فأتمه ابنه المكتفي. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص3.

العالية، ومع كثرتهم يتدافعون فيدوس بعضهم بعضاً، ولما نقص الماء ضُربت لهؤلاء النازحين الخيام في الصحراء، وعمل الخدم أكواخاً[1].

وفي فيضان نهر دجلة سنة (569هـ) هرب الناس من سكان بغداد وسكان الموصل فضربوا الخيم على تلال الصحراء[2]. وفي فيضان نهر دجلة سنة (654هـ) يذكر سبط ابن الجوزي هروب الناس من بيوتهم، وكان من بينهم خاله (محيي الدين ابن الجوزي) من دار الخليفة، وضرب خيمة على تلٍّ عالٍ، وجلس بأهله فيها[3].

- **ثانياً–هلاك السكان:**

من أكبر آثار الفيضانات على الجانب الاجتماعي تسببها في هلاك كثير من سكان بغداد، وقد يكون سبب هلاكهم؛ إما الغرق، وإما موتهم تحت الهدم نتيجة سقوط المنازل:

فمن ذلك ما وقع في فيضان نهر دجلة سنة (232هـ) حيث هلك كثير من سكان مدينة الموصل؛ لأن زيادة دجلة صاحبها وقوع المطر الغزير فغرق مائة ألف إنسان، وهو عدد ضخم جداً، قد يُتوقف في صحته، فقيل: إن أمير الموصل، وهو غانم بن حميد الطوسي، كفن ثلاثين ألفا، وبقي تحت الهدم خلق كثير لم يُحملوا سوى من حمله

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص155، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج19، ص276، وابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص44.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص204.

[3] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص427.

الماء[1]. وفي فيضان سنة (337هـ-949م) وقعت الدور بسبب مياه الفيضان؛ فمات تحت الهدم خلقٌ كثير"[2].

وفي فيضان دجلة سنة (466هـ) وقع ما يشبه الموت الجماعي، فمع وقوع هذا الفيضان الكبير، غرق عدد كبير من الناس حيث جاء الماء كالجبال يُهلك ما مرَّ به من إنسان وحيوان، وتهدمت المنازل؛ فمات تحت الهدم ما لا يُحصى بسبب تهدم المنازل، ومع هروب الناس الجماعي من منازلهم داس بعضهم بعضاً فهلك جماعة من الناس، ثم زاد الأمر سوءاً ففسد الهواء، بسبب رائحة الموتى، وغرق الغلال، فمات بسبب ذلك ما لا يُحصى، وقد علا وجوه الناس الذل والصغار رهبة مما حدث، وأصبحت بغداد وسط هذا المشهد عبرةً للمعتبرين، وفكرةً للمتفكِّرين[3]، وكان أكثر المتضررين بسبب هذا الفيضان هم الأعراب والتركمان وأهل القرى، وسكان الجانب الشرقي من بغداد حيث هلك عدد كبير منهم [4].

ومن المشاهد المفجعة في أثناء هذا الفيضان ما حدث وقت هروب الناس من بيوتهم لرجل كان يحمل على كتفه ولدينِ صغيرين، ويعاني في ذلك التعب الشديد لينجو بهما، فما زال يخوض بهما في الماء حتى أعيا فرمى بهما ونجا بنفسه، فإنا لله وإنا لله راجعون[5].

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص111.

[2] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج17، ص267.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص155، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص279، وابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص44.

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص147.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص156، وانظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص278.

وفي فيضان نهر دجلة سنة (654هـ) زادت المياه زيادة مهولة إلى الغاية لم يُعهد مثلها إلا من زمان، فغرق بسبب ذلك خلقٌ كثيرٌ من أهل بغداد، وتهدمت الدور فمات خلقٌ تحت الهدم[1].

- **ثالثاً–أثره على المناسبات الاجتماعية للسكان:**

كان لتأثير الفيضانات أثرٌ سلبي على المناسبات الاجتماعية لدى السكان؛ كمناسبات الزواج، والاحتفالات التي تُقام ، فالواقع أن هذه المناسبات كان تؤجل أو تُلغى بسبب الفيضانات، ولم يكن ذلك يحدث مع عامة القوم فقط، بل مع كبار القوم ؛ فمن ذلك ما حدث في أثناء فيضان دجلة سنة (466هـ) حيث قدم الأمير مؤيد الملك أبو بكر بن نظام الملك[2] ليتزوج من بنات أحد وجهاء بغداد؛ فلم يخرج أحدٌ لتلقيه بسبب انشغال الناس بأمر الفيضان فأخذ في نفسه من ذلك، فبعث الخليفة إليه من طيب قلبه، ويشرح له أسباب عدم استقبالهم له، والمبالغة في تقديم واجب الضيافة

---

[1] تاريخ الإسلام، ج14، ص660.

[2] هو عبيد الله (مؤيد الملك) ابن الحسن (نظام الملك) ابن علي، قال فيه العماد الأصفهاني: " هيهات أن يلد الزمان مثله في دهائه وذكائه ولطفه وظرفه " نشأ في بيت وزارة بأصبهان، ولم يكن في أولاد نظام الملك أكفأ منه. واستوزره السلطان بركيارق ابن ملكشاه السلجوقي سنة 487 هـ والدولة السلجوقية في أسوأ أيامها، فنهض بها. ثم تغير عليه السلطان فعزله واعتقله. وخلص من الاعتقال، فأظهر الانقطاع للعبادة. واتصل بمحمد ابن ملكشاه (وهو أخو السلطان بركيارق ووليّ عهده) فاتفق معه على خلع أخيه، فخلعاه (سنة 492 هـ) وفرّ السلطان من أصفهان. ثم خرج إلى همذان في بعض أعماله، فأحاط به عدد ممن بقي على الولاء لبركيارق فأسروه وحملوه إليه فضرب عنقه بيده سنة (494هـ). انظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص673، والزركلي، الأعلام، ج4، ص192.

له[1]. فإذا كان مثل هذا قد وقع مع وجهاء القوم، فكيف بغيرهم من عوام الناس، مما لم يذكره المؤرخون، وأنَّى لهم أن يذكروا تعطل مناسبات الزواج لعوام الناس، مع هذا الخراب الذي يعم البلاد، فالخطب أكبر من أن يسجلوا مثل هذا.

- **رابعاً–تسببه في وقوع النزاع والشقاق بين طوائف المجتمع:**

من غريب آثار الفيضان تسببه في قوع الشقاق بين المسلمين واليهود ممن كان يسكن بغداد، حيث إنه لما زاد الماء أثناء فيضان دجلة سنة (654هـ) عمل اليهود سداً ليمنع دخول الماء إلى الدرب الذي كانوا يسكنون فيه، وساعدهم في ذلك المسلمون، فنازعهم في ذلك مَن يقع السد في ملكه فوقع بينهم النزاع، وجرت بين المسلمين واليهود خصومات، ورفع اليهود السلاح على المسلمين، ونادوا: يا آل خيبر، فقُبض على جماعة منهم، فضُربوا وأُدبوا، وشُهِّر بهم، ونودي عليهم: هذا جزاء مَن شهر السلاح على المسلمين، وقال: يا آل خيبر[2].

- **خامساً–أثرها على الجانب الروحي للسكان:**

كان لفيضان دجلة والفرات أثرٌ كبير على الجانب الروحي للسكان، فمن ذلك شعور السكان أن هذه الفيضانات قد تكون عقوبة من الله تعالى بسبب انتشار المعاصي وكثرة الذنوب، فلا شك أنه ما نزل بلاء عام بالأمم إلا بذنب، وما رُفع عنهم إلا بتوبة، فسعى العلماء والمحتسبين في التذكير بأثر الذنوب والمعاصي في وقوع العقوبات، وضرورة العودة والتوبة إلى الله تعالى وإزالة المنكرات التي انتشرت، والأخذ بأسباب رفع العقوبات من التضرع والابتهال والدعاء بكشفها.

---

[1] المنتظم، ج16، ص157.

[2] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص318.

وقد ظهر هذا جلياً في كثير من الفيضانات التي وقعت ببغداد، ففي فيضان سنة (466هـ) ذُكر أنه من عجيب ما يحكى في هذا الغرق أن الناس في العام الماضي، كانوا قد أنكروا كثرة المغنيات والخمور، فقطع بعضهم أوتار عود مُغنية ، فوقع بسبب ذلك شجار ونزاع؛ فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الأئمة منهم أبو إسحاق الشيرازي، واستغاثوا بالخليفة وطلبوا هدم المواخير والحانات وتبطيلها، فوعدهم أن يكاتب السلطان في ذلك، فسكنوا وتفرقوا، ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه، فاتفق أن غرقت بغداد، ونال الخليفة والجند من ذلك أمر عظيم، وعمت مصيبته الناس كافة [1]. وفي فيضان نهري دجلة والفرات سنة (569هـ-1174م) كان الناس في أثنائه يلازمون البكاء والدعاء والابتهال إلى الله لرفع هذا البلاء، لشعورهم أن هذا الفيضان بلاءٌ من الله بسبب الذنوب [2]. وفي فيضان دجلة سنة (654 هـ-1256م) كان الناس فيه يستغيثون بالله لرفع البلاء [3].

ومن هذا ما كان يفعله بعض خلفاء بني العباس من التضرع والتذلل إلى الله تعالى لرفع هذه الابتلاءات، وكان يمزجون تضرعهم هذا بالتبرك بما يظن أنه من آثار النبي صلى الله عليه وسلم، كغمس القضيب في الماء تبركاً به، وطلباً لنقص الماء، مع لبس

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص248.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص204، وابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص470.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص660، وابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص456.

البردة، كما حدث فيضان نهر دجلة سنة (454هـ-1062م) [1]، وفي فيضان نهر دجلة سنة (466هـ-1073م)[2]

ومن آثار الفيضانات على أداء الناس للشعائر الدينية ما جاء في أثره على أداء صلاة الجمعة في الجوامع، فقد ذكر المؤرخون أنّ الفيضانات قد أثرت على أداء الناس لهذه الشعيرة العظيمة؛ ففي فيضان نهر دجلة سنة (466هـ-1073م) فقد أقيمت الجمعة في الطيار[3] أسبوعين، وفي الحلبة ثلاث جمع بعد ذلك، وقد هيئ للخطيب في الحلبة ثلاثة أحجار كبيرة؛ فصعد عليها، وكان الماء واقفا في الجامع أكثر من قامة، ووقع معظمه، ومالت حيطانه[4].

وهذا ابن الجوزي يحكي شهوده لصلاة الجمعة في سوق الدواب لغرق المسجد الجامع فيقول في حديثه عن آثار فيضان دجلة سنة (569هـ):" وخرجتُ يوم الجمعة خامس عشر رمضان إلى خارج السور فإذا قد نصب لخطيب جامع السلطان منبر في سوق الدواب يصلى بالناس هناك لامتلاء جامع السلطان بالماء"[5]. وفي ذات الفيضان جُعل أحد المساجد جامعاً وصُلي فيه الجمعة[6].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص74.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص247.

[3] الطيار: زورق خفيف سريع الجريان كان يُستعمل في العصر العباسي. انظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة – بيروت، ط1، 1377هـ، ج3، ص646.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص156، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص247، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص147.

[5] المنتظم، ج18، ص206.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص206، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص232.

وفي فيضان نهر دجلة سنة (641هـ -1244م) صُليت الجمعة على طرف أحد الخنادق الموجودة ببغداد [1]. وفي فيضان نهري دجلة والفرات سنة (654هـ) أُقيمت الجمعة في المدرسة المستنصرية عدة مرات، وكان الناس يحضرون بالسفن؛ فامتلأت المدرسة، وغلّق بابها، واتصلت الصفوف في السفن من باب المستنصرية إلى سوق المدرسة، وصلى أهل باب الأزج في مصلى العيد بعقد الحلبة[2].

- ومن ذلك أيضاً تأثير الفيضانات على أداء فريضة الحج؛ فقد كانت الفيضانات تحول بين ذهاب الناس لأداء فريضة الحج، لصعوبة الخروج من العراق، وخوف الغرق، كما حدث ذلك في فيضان نهر دجلة سنة (315هـ)[3]، وفيضان نهر دجلة سنة (401هـ-1011م)[4].
- **سادساً-تكاتف المواطنين فيما بينهم من أجل تفادي آثار الفيضانات:**

من الآثار الإيجابية التي تُلاحظ في أثناء هذه الفيضانات أن السكان يتكاتفون فيما بينهم من أجل التقليل من الآثار السيئة لهذه الفيضانات عليهم، بما في ذلك الخليفة والوزراء، وغيرهم من أعيان الناس.

ففي فيضان نهر دجلة سنة (568هـ -1173م) اجتهد الناس وتكاتفوا لعمل السدود، وإصلاح ما يقطع منها، وكان الوعاظ يحثون الناس على التعاون والتأكيد على

---

(1) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص186.

(2) المرجع السابق، ص319.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص265، وابن الأثير، الكامل، ج7، ص574.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص574.

وحدة الصف وقت هذه الأزمة[1]. وفي فيضان نهريي دجلة والفرات سنة (569هـ-1174م) خرج الناس وضربوا الخيم على تلال الصحراء ونقلوا رحالهم إلى دار الخليفة، ومنهم مَن عبر وتقدم بالعوام إلى فتحات السدود للعمل فيها، وكلما سدوا فتحاً انفتح غيره، وكان الناس ومعهم الجنود يبتون لحراسة هذه السدود خشية أن تنفتح ليلاً[2].

وفي فيضان دجلة سنة (614هـ -1217م) أشرفت بغداد على الغرق، فركب الوزير والأمراء والأعيان كافة، وجمعوا الخلق العظيم من العامة وغيرهم لعمل السدود حول البلد، وقلق الناس لذلك، وانزعجوا، وعاينوا الهلاك، وأعدوا السفن لينجوا فيها، وظهر الخليفة للناس وحثهم على العمل، وكان مما قال لهم:" لو كان يفدى ما أرى بمال أو غيره لفعلت، ولو دفع بحرب لفعلت، ولكن أمر الله لا يرد "[3].

وفي فيضان نهر دجلة سنة (654 هـ-1256م) اجتهد الوزير وكافة الولاة مع الناس في مواجهة هذا الفيضان، وحمل الوزير ما يُسد بها فتحات السد ليقتدي به الناس، ففعل الناس مثله[4]

- **سابعاً: أثرها على القبور**

لم يسلم من آثار الفيضان أحدٌ حتى الموتى في قبورهم، فكانت المياه تجتاح القبور حتى تطفو جثث الموتى فوق الماء، وخربت القبور والأضرحة التي تُسمى المشاهد، فمن ذلك ما جاء في فيضان دجلة سنة (461هـ -1069م) حيث دخل الماء إلى

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص200، ابن الأثير، الكامل، ج9، 386.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص204، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص232.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص312.

(4) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص 317.

مشهد النذور، ومشهد المالكية والسبتي [1]. ومن ذلك أيضاً ما وقع في فيضان نهر دجلة سنة (466هـ-1073م) حيث غرق الجانب الشرقي من بغداد وقع مشهد باب أبرز ومنارته، وغرقت المقابر، وصعدت التوابيت على الماء، وخرق مشهد النذور، ومقبرة الخيزران، وقبر السبتي، وأما الجانب الغربي من بغداد فإنه وقع فيه مشهد الكف، وغرقت مقابر قريش، ومقبرة الإمام أحمد بن حنبل، وخرج الموتى من القبور في التوابيت على رأس الماء من عند قبر الإمام أحمد[2].

وفي فيضان نهر دجلة سنة (554هـ -1159م) غرقت مقبرة الإمام أحمد وغيرها من الأماكن والمقابر وانخسفت القبور المبنية وخرج الموتى على رأس الماء، وكانت آية عجيبة[3]. وفي فيضان نهر دجلة سنة (569هـ) امتلأت مقبرة أحمد كلها بالماء، وغرقت ولم يسلم منها إلا موضع قبر بشر الحافي لأنه على مكان مرتفع، وكان من يرى مقبرة أحمد بعد أيام يدهش كأن القبور قد قلبت، وجمع الماء عليها كالتل العظيم من العظام وكالتل من ألواح القبور، ووقع المشهد الذي على باب النصرية[4]، وامتلأت مقبرة باب الشام بالماء [5].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص113، وابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص19.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص156، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص277، وابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص44.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص135، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص16.

[4] النصرية؛ قرية من قرى بغداد كانت بالجانب الغربي من بغداد في طرف البرّية متصلة بدار القز. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص287.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص205.

المبحث الثالث:

أثر الفيضانات على الجوانب السياسية والإدارية.

لا شك أن الكوارث الطبيعية ومنها الفيضانات تؤثر تأثيراً بالغاً على الجوانب السياسية والإدارية للدول؛ لذلك كانت الدول تحرص حرصاً شديداً على منع أو تخفيف آثار الكارثة قبل وقوعها، وهو ما يُعرف باسم " الجهود الاستباقية".

وقد تقدّم في المبحث الرابع من الفصل الأول أن خلفاء بني العباس قد حرصوا على بذل الجهود التي يمكن من خلالها تفادي الآثار الكارثية للفيضانات كإقامة السدود، ثم عند وقوع الكارثة تتوجه جهود الدولة لتخفيف آثارها، ويتكاتف الناس في مواجهة أخطارها.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عن فيضان نهر الفرات سنة (332هـ-944م) حيث خرج الأمير أبو الوفاء إلى أماكن السدود التي فُتحت، ومعه قواده، ومالٌ من خاص ماله مؤملاً سده، فأقام أياماً عليه، واجتهد، ثم إن الله عز وجل لم يأذن في سد هذه الفتحات فحمل الماء أكثر العمل الذي بُذِل، واغتم الأمير لذلك غماً شديداً[1].

ومن ذلك أيضاً ما وقوع في فيضان نهر دجلة سنة (604هـ-1208م) حيث اهتم الخليفة وحاشيته بأمر مواجهة آثار هذا الفيضان بعد وقوعه [2].

ويلاحظ أنه بعد وقوع الفيضانات قد لا يستطيع الخليفة أن يصل إلى الديوان بسبب دخول الماء إلى دار الخلافة، فكان يحتال من أجل ذلك، كما وقع في فيضان نهر

---

[1] الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص278.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص267.

دجلة سنة (569هـ) حيث كثر نزيز الماء في دار الخلافة وامتلأت السراديب فكان الخليفة يخرج من باب الفردوس إلى ناحية الديوان فيمضي إلى الجامع[1].

وقد تغرق أيضاً خزائن الخليفة والذخائر كما وقع في فيضان نهر دجلة سنة (654هـ) حيث غرقت بغداد الغرق الشَّنيع الذي لم يُعهد مثله؛ فغرقت خزائن الخليفة والذخائر، وجرى شيءٌ لم يجرِ مثله[(2)].

ومن الأمور الإدارية التي تحرص عليها الدولة بعد وقوع الفيضانات التشديد على ضرورة ضبط أسعار السفن والمراكب التي تنقل الناس، كما وقع في فيضان نهر دجلة (466هـ) أُخبر الوزير أن الملاحين يؤذون الناس في المعابر، فأحضرهم، وتهددهم بالقتل، وأمر بأخذ ما جرت به العادة[(3)].

ومع وقوع الأزمات الكبرى كالفيضانات يحدث في البلاد نوعٌ من الاضطرابات الأمنية، فيكون الوضع العام مناسباً للصوص والمفسدين في الأرض لنهب ما يمكنهم نهبه؛ وقد أشار المؤرخون إلى شيء من هذا ففي فيضان دجلة سنة (466هـ) استغل جماعة من المفسدين هذا الاضطراب والأزمة الشديدة فزحفوا على خزائن الخليفة ليتسلطوا فنُهبت الخزائنُ الخليفة، ولم يؤاخذ أحد[(4)].

---

[1] المنتظم، ج18، ص205.

[(2)] مرآة الزمان، ج22، ص427.

[(3)] الكامل في التاريخ، ج8، ص247.

[(4)] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص156، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص279.

ولهذا السبب تتوجه جهود الدولة الإدارية نحو إخفاء ونقل ما يخص أموال الدولة وأموال الخليفة خوفاً عليها من السرقة، والغرق؛ فمن ذلك ما وقع في فيضان دجلة سنة (469هـ -1077م):

حيث زادت دجلة زيادة كبيرة بلغت إحدى وعشرين ذراعا ونصفا فنقل الناس أموالهم، وخيف على دار الخلافة فنقل تابوت القائم بأمر الله ليلا إلى الترب بالرصافة[1].

ومن آثار الفيضانات على الجوانب السياسية والإدارية أنها تُعيق تنفيذ المشاريع التي كان يخطط الخلفاء القيام بها، بل كانت تمنعهم من السفر. فمن ذلك أن فيضان نهر دجلة سنة (219هـ-835م) حيث منعت مياه الفيضان الخليفة المعتصم من الخروج من بغداد إلى سامراء للبناء فيها، وأجّل القيام بذلك [2].

ومن آثار الفيضانات على الجوانب الإدارية ما يظهر في كيفية تعامل المسؤولين عن السجون في بغداد مع السجناء داخل هذه السجون، وما هي الإجراءات التي تُتخذ مع هؤلاء المساجين، فهل يحاول المسؤول عنهم النجاة بنفسه أم يُحاول إنقاذ السجناء ومساعدتهم؛ لأن عملية نقل السجناء في مثل هذه الأوقات العصيبة قد تحتاج إلى نوعية خاصة من النقل خاصةً إذا كانت أعدادهم كبيرة[3].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص181، وابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص59.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص20.

[3] وُجدت السجون في الخلافة العباسية منذ إنشائها، فقد بُني سجنٌ في بغداد وقت إنشائها كان يقع في الجانب الغربي منها، كما وجدت سجون أُخرى في بغداد كالحبس الأعظم الذي يُسمى المطبق الموجود في سكة المُطبق، والذي وُصف بأنه وثيق البناء محكم السور وكذلك سجن باب الشام بجانب قطيعة الفضل بن سليمان الطوسي، والذي ذُكر أنه قد احترق سنة (235هـ) فمات بسبب ذلك مَائة وثلاثون رجلا، وذلك عند رواح الناس إلى الجمعة، ووُجِد كذلك سجن نصر بن مالك وكان

ومما يؤسف له أن المؤرخين لم يدونوا ما وقع لتلك السجون في أثناء هذه الفيضانات التي اجتاحت بغداد، وغاية ما وقف عليه الباحث ما ذُكر في فيضان دجلة والفرات سنة (654هـ) من امتلأ سجن المطبق بالماء[1]، وأن قصر التاج قد أصبح سجناً لسجناء الدولة، ولم يُعرف مصيرهم أثناء وبعد الفيضان[2]، ونُقل مَن كان محبوساً في دار الشجرة ودار الصخر إلى ديوان الزمام الذي كان يحتوي على سجن[3].

ومع ذلك فإن ثمة ملاحظة مهمة عند مطالعة تعامل الخلفاء والقائمين على إدارة الدولة بهذا الخصوص، وهي أن تعاملهم مع الفيضانات يُوحي بمدى الضعف الذي ألمّ بالخلافة العباسية في عصرها الثاني، إذ يُلاحظ عدم وجود آلية منظمة، وخطة

في الجانب الشرقي، والذي فتحته العامة سنة (249هـ)، وأخرجوا من فِيهِ احتجاجاً على أفعال الأتراك ، واستيلاءهم على أمور المسلمين، واستخلافهم من أحبوا من غير نظر في ذلك للمسلمين، وفي الجانب الشرقي أيضاً سجن النساء، فضلاً عن الحبس الجديد الذي بُني مكان قصر أم جعفر المعروف بالقرار

وأشار المؤرخون أنه في سنة (307هـ-919م) كسرت العامة الحبوس بمدينة المنصور فأفلت من كان فيها، وكانت الأبواب الحديد الَّتِي للمدينة باقية فغلقت، وتتبع أصحاب الشرط من أفلت من الحبوس فأخذوا جميعهم حَتَّى لم يفتهم منهم أحد. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص400، وابن الفقيه الهمذاني، بغداد مدينة السلام، تحقيق: صالح أحمد العلي، دار الطليعة، باريس: 1977، ص 47. العلي، صالح أحمد، بغداد مدينة السلام، إنشاؤها وتنظيم سكانها في العهود العباسية الأولى الجانب الغربي (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد: 1985، مج 1 ص200.

[1] الغساني، إسماعيل بن العباس، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان -بغداد، ط1، 1395هـ، ص616.

[2] دكوك، ريجار، بغداد مدينة السلام، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه: فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق، بغداد، ط1، 1962م، ج1 ص134

[3] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص317.

موضوعة للتعامل مع هذه الفيضانات رُغم تكرارها، بل إننا نقف في بعض الفيضانات على أن الخليفة ومَن معه ليس لديهم أي خطة لمواجهة هذه الكوارث، فغاية أمرهم أنهم قد يبحثون عن النجاة بأنفسهم.

ففي فيضان دجلة والفرات سنة (466هـ) يحكي ابن الجوزي وسبطه ما وقع للخليفة ووزيره في أثناء هذه الفيضان فقالا :" ... ونبع- أي الماء – من الآبار والبلاليع فرماها في ليلتها فصارت تلالا عالية، ثم صبح دار الخلافة ففعل بأكثرها مثل ذلك...، فهرب الخدم والخواص متحيرين، والمطر يأتي من فوق، وخرج الماء على الخليفة من تحت السرير الذي كان جالسا عليه، فنهض إلى الباب فلم يجد طريقا، فحمله أحد الخدم على ظهره إلى التاج... وأما الوزير فخر الدولة فدخل عليه الماء إلى داره بباب عمورية، فركب فرسًا، وخاض الماء إلى أن وصل إلى حجرة الخليفة واستأذن فيما يفعل، فقيل له: اطلب النجاة لنفسك قبل أن لا تقدر عليها. فمضى إلى الطيار على باب الغرفة فنزل فيه، وجاء إنسان إلى الوزير ومعه ولد ولد الوزير، فقال له: يا مولانا، معي ولد ولدك. فقال: أيش أعمل به، احتفِظْ به إن أمكنك حِفْظُه، وبعث بأهله إلى الجانب الغربي"[1].

فموقفٌ كهذا يوضح مدى قلة الحيلة، وضعف الإدارة العليا للدولة في العصر العباسي الثاني، وعدم قدرتهما على حماية أنفسهما؛ فضلاً عن عدم استعدادهما إدارياً لمواجهة هذه الفيضانات رُغم تكرارها.

[1] المنتظم، ج16، ص155، ومرآة الزمان، ج19، ص278.

الخاتمة

الحمد لله على ما وفّق وأعان لإنجاز هذا البحث، فله الحمد وحده، وفي خاتمته أذكر أهم النتائج التي خرجت بها:

أولاً: تعرضت العراق في العصر العباسي إلى عدد كبير من الفيضانات، ولكن المؤرخين لا يذكرون كل ما يقع من هذه الفيضانات، وإنما يشيرون إلى أشهرها بناءً على ما تُخلفه من آثار وأضرار؛ ففي العصر العباسي الأول وقف الباحث على ستة فيضانات لنهري دجلة والفرات، وفي العصر العباسي الثاني وقف الباحث على (49) فيضاناً للنهرين.

ثانياً : أكثر الفيضانات التي تعرضت لها العراق في العصر العباسي كانت لنهر دجلة، ويرجع ذلك لطبيعة النهرين الجغرافية ؛ فكمية المياه وزيادتها في نهر دجلة أكثر من نهر الفرات وسبب ذلك يرجع إلى كثرة الروافد التي تصب في نهر دجلة ، وكمية الأمطار الكثيرة التي تصب فيه ، بينما الفرات لا تابع له في الأراضي السهلة سوى نهر الخابور الذي لا يحتوي على كمية كبيرة من الماء، ولا تسيطر عليه جبال ذات أمطار كثيرة، أما الوديان التي تأتي من بادية الشام، فهي أنهار جافة لا تجري إلا عند نزول الأمطار الغزيرة، ثم إن منطقة الجبال التي يقطعها بعيدة عن أرض العراق، وبالتالي فإن نهر دجلة يتميز بفيضانات فجائية مخربة.

ثالثاً: بذلك الدولة جهوداً لمواجهة هذه الفيضانات والحد من خطورة، وقد سارت هذه الجهود في اتجاهين؛ الأول: جهود وقائية استباقية تمثلت في بناء الأسوار حول المدن الكبرى، وإقامة مشروعات الري على ضفاف نهري دجلة والفرات، ثم إنشاء المقاييس على ضفتي نهر دجلة والفرات لتسجيل منسوب مياه الأنهار ، أما الاتجاه الثاني، فهي

جهودها لمواجهة أخطار الفيضانات بعد وقوعها، ومن أبرزها: بناء السدود والسكور أمام مسار الفيضان، وتهيئة السفن الصغيرة لنقل السكان إلى المناطق الآمنة بعيداً عن مياه الفيضان، ثم بذلك الجهود لمنع ارتفاع أسعار السلع في ظل هذه الأزمات.

رابعاً: تركت هذه الفيضانات آثاراً كبيرة على الجانب الاقتصادي للعراق؛ ففي مجال الزراعة غرقت البساتين ومزارع النخيل كما غرقت الغلال وتلفت، وأما تأثيرها على الثروة الحيوانية فقد هلكت الحيوانات وتفشت الأمراض بين بعض الحيوانات، وأما بالنسبة للثروة السمكية فكان لها أثر إيجابي تمثل في سهولة صيدها في بعض الفيضانات لتجمعها في مكان معين يسِّهل صيدها، بينما قد يكون لها أثر سلبي حيث إن زيادة منسوب الماء قد يصعِّب عملية صيد الأسماك، وأما بالنسبة لتأثير الفيضانات على النشاط الصناعي فتمثل في الإضرار بأهل الصناعات حيث غرقت محلاتهم، وآلاتهم، كما تسببت في هلاك بعضهم كالجسارين الذي يمتهنون مهنة صناعة الجسور، وأما بالنسبة لتأثيرها على النشاط التجاري، فقد غرقت الأسواق، وارتفعت أسعار السلع، وأضرت المياه بطرق التجارة البرية منها والبحرية.

خامساً: تركت الفيضانات آثاراً سلبية على الجانب العمراني للعراق فقد تهدمت الدور والمنازل، وسقطت الجوامع والمساجد، وارتفع منسوب الماء بداخلها، كما أضرت مياه الفيضانات بالمستشفيات، فقد تهدمت بسببها، وأضرَّ بالمرضى والأطباء والقائمين عليها، كما تهدمت الأسوار والجسور والسدود بسبب مياه الفيضانات، ولم تسلم المدارس من ضررها، فقد دخل الماء كثير منها.

سادساً: أثّرت الفيضانات تأثيراً بالغا على الجانب الاجتماعي لأهل بغداد، فقد هلك السكان بسبب الغرق تارة، وبسبب تهدم الدور عليهم تارة أخرى، فمات بسبب ذلك آلاف

السكان، كما هرب كثير منهم فراراً من مياه الفيضان، وقد علاهم الخوف والذعر، ولم يسلم من ذلك أحد من طبقات السكان حتى الخلفاء والأمراء، كما تركت آثاراً سيئة على أداء السكان لشعائرهم الدينية فقد منعت شهود صلاة الجمعة في بعض الفيضانات، وقد تؤدى الصلاة السفن الصغيرة، ومنعت مياه الفيضانات خروج الناس لأداء فريضة الحج في بعض السنوات، ولم يسلم أهل القبور من مياه الفيضانات فقد غرقت المقابر في كثير من الفيضانات وخرج الموتى على رأس الماء، وأحياناً يكون للفيضانات جانب إيجابي يتمثل في تكاتف السكان بكل طبقاتهم لمواجهة مياه الفيضانات، فتظهر حالة من التعاون ووحدة الصف فيما بينهم.

سابعاً: من أبرز آثار الفيضانات على الجوانب السياسية والإدارية توجه جهود الدولة لمواجهة آثار الفيضانات، كما تحرص إدارة الدولة على نقل ما يخص أموال الدولة خوفاً عليها من الغرق والسرقة، كما أن مياه الفيضانات قد تُعيق تنفيذ بعض المشروعات التي يخطط الخلفاء القيام بها، بل كانت تمنعهم من السفر أيضاً.

فهرس المصادر والمراجع

1- ابن الأثير: علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ.

2- ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط1، 1997م.

3- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن على، مناقب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط2، 1409هـ.

4- ابن الجوزي، مناقب بغداد، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مطبعة دار السلام، بغداد، ط1، 1342هـ.

5- ابن الدَّوَاداري، أبو بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: بيرند راتكه، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، 1402هـ.

6- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1406هـ.

7- ابن الفقيه الهمذاني، بغداد مدينة السلام، تحقيق: صالح أحمد العلي، دار الطليعة، باريس: 1977.

8- ابن الفقيه، أحمد بن محمد، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1416هـ.

9- ابن الفوطي، عبد الرزاق بن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة من المائة الثامنة، مطبعة الفرات، بغداد، ط1، 1351هـ.

10- ابن المستوفي الإربلي، المبارك بن أحمد، تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ط1، 1980م.

11- ابن الوردي الجد، زين الدين عمر بن الوردي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت، ط1، 1417هـ.

12- ابن الوردي الحفيد، عمر بن المظفر، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط1، 1428هـ.

13- ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (د.ت).

14- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط7، 1419هـ، ج2، ص165.

15- ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

16- ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002م.

17- ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ): مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.

18- ابن حوقل، محمد بن حوقل، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ط1، 1938م.

19- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م

20- ابن دحية الكلبي، عمر بن الحسن، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق: عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1365هـ.

21- ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط1، 1987م

22- ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، كتاب بغداد، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط3، 1423هـ.

23- ابن عبد الحق: عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.

24- ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1399هـ.

25- ابن كثير: إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ.

26- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.

27- ابن واصل، محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الكتب والوثائق القومية –المطبعة الأميرية، القاهرة –جمهورية مصر العربية، ط1، 1377هـ.

28- أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، إسماعيل بن علي، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، بدون تاريخ.

29- أبو عبيد، القاسم بن سلاَّم، غريب الحديث، تحقيق: حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1404هـ.

30- أبو عبيد، القاسم بن سلاَّم، غريب الحديث، حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1404هـ.

31- الأزدي، يزيد بن محمد، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1، 1387هـ.

32- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.

33- البكري، عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992م.

34- تاج الدين السُّبْكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.

35- تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، تح: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط3، 1992م.

36- الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1424هـ.

37- الجَهْشَيَاري، محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط1، 1357هـ.

38- الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ.

39- الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

40- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1422هـ.

41- الخليل بن أحمد، معجم العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط1، بدون تاريخ.

42- الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م.

43- الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ.

44- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ.

45- الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1382هـ.

46- الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ.

47- سبط ابن الجوزي: يوسف بن قِزُغْلي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط1، 1434هـ.

48- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1425هـ.

49- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط1، 138هـ.

50- السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر – بيروت، بدون تاريخ.

51- الصابئ، الهلال بن المحسن، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ط1، 1904م.

52- الصولي، محمد بن يحيى، أخبار الراضي بالله والمتقي لله = تاريخ الدولة العباسية، تحقيق: ج هيورث دن، مطبعة الصاوي، مصر، ط1 1935 م.

53- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ.

54- الغساني، إسماعيل بن العباس، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان – بغداد، ط1، 1395هـ.

55- الفارابي، إسحاق بن إبراهيم، معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1424هـ.

56- الفوطي الشيباني، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر –وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط1، 1416هـ.

57- الفِيرُوزَ ابادي: محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 1426هـ.

58- القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ دراسة وتحقيق: فهمي سعد –أحمد حطيط عالم الكتب، ط1، 1412هـ.

59- القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

60- المسعودي، علي بن الحسين، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي – القاهرة، ط1، بدون تاريخ.

61- مسكويه، أحمد بن محمد، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحق: أبو القاسم إمامي، الناشر: سروش، طهران، ط2، سنة 200م.

62- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

63- النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ.

64- الهمذاني، محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية – بيروت، ط1، 1958م.

65- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ.

66- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.

المراجع العربية والمعربة:

1- الأعظمي، عواد مجيد، حضارة العراق (تأليف: نخبة من الباحثين)، "الزراعة في العصر العباسي، بغداد، 1985م.

2- الألباني، محمد ناصر الدين، التوسل أنواعه وأحكامه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط1، 1421هـ.

3- تيمور باشا، أحمد، الآثار النبوية، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1370هـ.

4- الجديع، عبد الله بن يوسف، تحرير علوم الحديث، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1424هـ.

5- جعيط، هشام، نشأة المدينة العربيّة الإسلاميّة: الكوفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، 2005م

6- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، 1422هـ.

7- جودة، حسنين محمد، قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، دار المعرفة الجامعية، ط1، بدون تاريخ، ص130.

8- خلف جاسم محمد، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ط1، 1961م.

9- الدخيل، سليمان، الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دار الآفاق العربيّة، ط1، 1423هـ.

10- دكوك، ريجار، بغداد مدينة السلام، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه: فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق، بغداد، ط1، 1962م.

11- الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 1995م.

12- رضا، أحمد، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة – بيروت، ط1، (1377-1380هـ).

13- رينهارت بيتر آن دُوزِي، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية: محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1، 1979م.

14- الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين ط15، 2002م.

15- الزوكة، محمد خميس، جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، ط1، 1440هـ.

16- سوسة، أحمد، الدليل الجغرافي العراقي، مطبعة بغداد، العراق، ط1، 1379هـ.

17- سوسة، أحمد، حضارة وادي الرافدين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1986م.

18- سوسة، أحمد، فيضانات بغداد في التاريخ، مكتبة المؤيد، بغداد، ط1، 1993م.

19- شرف، عبد العزيز طريح، الجغرافيا المناخية والنباتية، دار المعرفة الجامعية، ط11، بدون تاريخ.

20- شرف، عبد العزيز طريح، المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، مركز الإسكندرية للكتاب، ط1، بدون تاريخ.

21- عبد العال، طه حسين، الكوارث الطبيعية في بلاد العراق وفارس في العصرين البويهي والسلجوقي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2013م.

22- العلي، صالح أحمد، بغداد مدينة السلام، إنشاؤها وتنظيم سكانها في العهود العباسية الأولى الجانب الغربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد: 1985.

23- عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، ط1، 1429هـ.

24- غاستون ماسبيرو، تاريخ المشرق، ترجمة: أحمد زكي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2014م.

25- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج1، ص236.

26- محسوب، محمد صبري، الأخطار والكوارث الطبيعية، الحدث والمواجهة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1422هـ.

27- محمدين، محمد محمود، المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، دار المريخ، ط4، 1960 م.

28- مركز الملك فيصل، خزانة التراث –فهرس مخطوطات.

29- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من 1404 -1427 هـ).

30- الهاشمي، طه، مفصل جغرافية العراق، مطبعة دار السلام، بغداد، ط1، 1930م

الرسائل الجامعية:

1-عقاقبة، أحمد، خطر الفيضانات في المناطق الشبه الجافة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2005م.

البحوث العلمية:

1- آل سعود، مشاعل بنت محمد، تطبيق تقنيات الجيومعلوماتية في دراسة الفيضانات والسيول في مدينة جدة، المجلة العربية لنظم المعلومات الجغرافية، جامعة الملك سعود، الجمعية الجغرافية السعودية، مج3، العدد الخامس، 2009م.

2- التميمي، حمدي حسين، الحياة الاقتصادية في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد (٧) العدد (٢٢)، ١٤٣٦هـ.